مستقبل الاتحاد الإفريقي

أ.د. مصطفى عبد الله أبو القاسم خشيم
أستاذ علم السياسة بجامعة الفاتح

استهلال :

بالرغم من أن العمر الزمني للاتحاد الإفريقي يعود فقط إلى بداية الألفية الثالثة ، إلا أن المتتبع لهذا الاتحاد يلاحظ بجلاء تطوره وتكيفه مع البيئة الداخلية والخارجية المحيطة. فبالرغم من أن تأسيس الجامعة العربية عام 1945 قد سبق قيام منظمة الوحدة الإفريقية بحوالي عقدين من الزمان ، وقيام الاتحاد الإفريقي بخمسة عقود ونيف ، إلا أنها لم تستطع أن تتطور وتواكب المتغيرات الإقليمية والعالمية المحيطة مقارنة بالنظام الإقليمي الإفريقي.

إن التطور الملحوظ للنظام الإقليمي الإفريقي يستوجب من الباحثين والسياسيين التأمل والتحليل بموضوعية ، لا سيما وأن عصرنا هو عصر التكتلات الجهوية والإقليمية. إن أهمية الاتحاد الإفريقي تبرز من كونه نموذجا ناجحا للتنسيق والتعاون بين الدول النامية ، وبالتالي يلاحظ الغنى الملحوظ في أدبيات الموضوع. لكن تفحص الأدبيات يشير إلى غلبة الدراسات الوصفية ، والافتقار إلى الدراسات التحليلية والمستقبلية ، وعليه فإن أهمية هذه الدراسة تنبع من تركيزها على استشراف مستقبل الاتحاد الإفريقي في عصر العولمة.

وبالرغم من حداثة علم المستقبل "Futurology" ، إلا أن تفحص أدبيات الموضوع يشير إلى وجود العديد من الدراسات والكتابات التي تولي استشراف المستقبل اهتماماً ملحوظاً ، سواء باللغة العربية ، [1] أو باللغات الأجنبية ، [2] وللتعرف على مستقبل الاتحاد الإفريقي ، فإنه سيتم التعرض لمحورين رئيسيين ، هما على التوالي:

1. علم المستقبل.
2. مستقبل الاتحاد الإفريقي.

علم المستقبل :

يعتبر مصطلح علم المستقبل أوروبياً ، وليس أمريكياً ، بالتالي يلاحظ أن علم المستقبل نشأ وتطور في الولايات المتحدة على يد علماء أوروبيين هاجروا واستقروا في أمريكا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. أما في أوروبا فقد نشأ علم المستقبل على يد علماء ألمان وفرنسيين ، ومن أبرز هؤلاء أوسيب فاغتهايم وغاستون برجيه[3] ، ولعلم المستقبل ، مثله في ذلك مثل بقية العلوم الأخرى ، أنصار ومعارضين ، حيث يلاحظ أن أنصاره يعتبرونه علماً بينما يعتبره خصومه أقرب إلى التنجيم "Astrology".

وبالرغم من أن علم المستقبل قد يتسم بعدم الدقة " Imperfect" ، واللاموضوعية "Baised" ، والتضليل "Illusion" ، إلا أنه ما زال يقدم لنا أدوات التحليل الرئيسية التي تقود وتدعم من مسار العملية البحثية خلال فترة زمنية تتراوح من 10 – 50 سنة ، إلى جانب تعزيز السياسات ذات التركيز بعيد المدى.[4] ويخلط البعض بين المستقبل نفسه وتصورنا لهذا المستقبل «Our Images of the Future" ، حيث يمكن التأكد في هذا السياق على أن التصورات الأيديولوجية للمستقبل المتسمة ، إلى حد كبير بالمثالية ، ليست هي المستقبل بالضرورة. فالليبرالية والرأسمالية والشيوعية لها تصورات مستقبلية تغلب عليها المثالية ، وبالتالي فهي لا تجسد بالضرورة المستقبل.[5]

وسواء أكان المستقبل الذي ندرسه متسماً بالعلمية أو بالمثالية ، فإن أدبيات الموضوع تؤكد على وجود عدة معطيات تدفعنا إلى الدراسة والاهتمام بالمستقبل ، ومن أبرز هذه العوامل[6] : مثل الرغبة الملحة في معرفة المجهول ، تقييم الحاضر والماضي ، ارتباط المستقبل بالواقع السياسي . فالدراسات المستقبلية تعتبر ضرورية وتؤدي إلى الإبداع الإنساني ، حيث إن تطور مثل هذه الدراسات يحفز الأفراد إلى الاهتمام بمستقبلهم.[7]

وبالرغم من التطور الملحوظ لعلم المستقبل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، إلا أن المستقبل ما زال يفاجئنا بأحداث وتطورات تغيب بطبيعة الحال عن ذهن الباحث ، ومن أمثلة ذلك عدم التنبؤ بانهيار النظم الشيوعية في شرق أوروبا وتفكك الاتحاد السوفيتي ، والتحول إلى نظام عالمي جديد. فطالما أن المستقبل لم يتشكل بعد ، فقد لا ينتبه الباحث إلى ما ستحدثه الوحدة الألمانية مثلاً على استقرار وأمن أوروبا والعالم خلال 20–50 سنة

قادمة. فالعلاقات تتشابك والمتغيرات محل الدراسة تعتبر بدورها أكثر تعقيداً ، وبالتالي فإن المشهد المستقبلي لا يعني بالضرورة أنه في عام 2030 ستحدث بالضبط أحداث محددة ، بقدر ما يعني أن المشهد عبارة عن تصور ذهني لأوضاع مستقبلية. فالمستقبل ليس إذاً أمراً حتمياً ، وأن الإنسان يساهم في تحديد أهداف المستقبل وتنفيذها.[8] ولا يتوقع أن يوصلنا علم المستقبل إلى نتائج نهائية محددة ، نظراً لأنه علم يتحدث عن أشياء لم توجد بعد ، وبالتالي فهو يشير إلى فترة من الزمن لم تأت بعد ، ولكنها عندما تأتي تصبح حاضراً.[9]

وطالما شدّ المستقبل الباحثين إلى دراسته [10] ، حيث يلاحظ في هذا السياق أن البعض يعتبر المستقبل امتداداً للحاضر [11] ، أو عبارة عن مجموعة تصورات أو نماذج فكرية ذات طابع مثالي أو علمي[12] ، أو عبارة عن مزيج من كل ذلك بحيث أن التنبؤ بالمستقبل يتطلب في الحالة الأخيرة الإلمام بالحاضر والماضي ، واستخدام نظريات أو أُطر فكرية محددة ذات علاقة بموضوع الاهتمام والدراسة .

وتتوقف عملية نجاح التنبؤ بالمستقبل على طبيعة ونوعية المتغيرات محل الاهتمام والدراسة ، حيث إن أدبيات الموضوع تشير إلى أن المتغيرات الاقتصادية والتقنية تُمكِّن الباحث من تحقيق نجاح أكبر في التنبؤ بالمستقبل مقارنة بالمتغيرات السياسية والاجتماعية. ويصنف عالم السياسة الأمريكي هرمن كاهن ، الذي أسس معهد هدسن لاستطلاع المستقبل في الولايات المتحدة ، المتغيرات إلى ثلاثة مستويات هي:[13]

أولا ، متغيرات غير قابلة بالمرة للتنبؤ ، نظراً لأنها:

أ/ غير متماسكة ولا تعكس وجود نمط محدد.

ب/ غير كمية.

ج/ عرضية وغير احتمالية.

ثانيا ، متغيرات غير قابلة للتنبؤ نسبياً ، وتجسد مثل هذه المتغيرات:

أ/ الاتجاهات أو النزعات العابرة أو المؤقتة.

ب/ الأحداث المتسمة بعدم الاستقرار.

ج/ الأحداث ، الشخصيات ، والحركات غير العادية.

ثالثا ، متغيرات قابلة للتنبؤ نسبياً ، وتصنف بدورها إلى:

أ/ البيانات المنتظمة " Systematic Variations".

ب/ الاستنتاجات المتسمة بـ :

1) الاستقرار النسبي والتغير البطيء .

2) منحنيات النمو النظرية ، والمتغيرات ذات الطبيعة الدالة والمنطقية.

3) المنحنيات الظرفية .

4) استنتاجات أخرى مستمدة من الماضي.

ج/ متغيرات ذات علاقة بتحديد الاتجاهات البسيطة.

د/ تحليل المتغيرات ذات الطابع:

1) الدقيق والكمي .

2) المعرفي والكمي.

3) شبه الكمي والمنطقي.

4) المعقولة والقابلة للتصديق.

5) البديهية أو الحدسية.

وطالما أن المستقبل يعتبر علماً ، أو كما يطلق عليه البعض علم العلوم [14] ، فإنه يلاحظ أن لهذا العلم أُطراً نظرية يمكن الإشارة إليها في الآتي:

1. علم المستقبل وتحديد المفاهيم.
2. النظريات وعلم المستقبل.
3. مداخل أو اقترابات علم المستقبل.
4. مناهج علم المستقبل.
5. السيناريو وعلم المستقبل.

السيناريو وعلم المستقبل:

يقترن مفهوم السيناريو بعلم المستقبل ، حيث إن السيناريو في أوسع معانيه عبارة عن وصف غير معمق لمستقبل محتمل ، أو هو عبارة عن نتائج مبدئية لأهداف متوقعة . ولا يعني ما سبق بالضرورة أن كل السيناريوهات أو المشاهد ذات العلاقة بالدراسات المستقبلية سطحية وغير معمقة ، بقدر ما يعني أن السيناريو قد يكون سطحياً عندما

يعتمد الباحث على مجرد التوقعات والخيال والحدس ، وأنه قد يكون غير ذلك عندما يقوم الباحث بتحليل معمق لكل أو معظم ما له صلة بمتغيرات الدراسة. لكن التحليل المعمق والشامل لمتغيرات الدراسة يحتاج إلى وقت وجهد ملحوظ ، وبالتالي يلاحظ أن العديد من الدراسات المستقبلية تميل إلى استخدام السيناريو غير المعمق نتيجة لظروف تمليها المعطيات البيئية ذات العلاقة بالعمليات البحثية .

ويؤكد عالم المستقبل الأمريكي هربرت كاهن على وجود سيناريوهين يمكن للباحثين من خلالهما التنبؤ بالمستقبل ، وهما :

1- سيناريو أو مشهد بقاء الأوضاع على ما هي عليه ، أو ما أطلق عليه هربرت كاهن "Business As Usual" ، حيث يتم التأكيد في مثل هذه الحالة على أن المستقبل يعتبر امتداداً للحاضر وأن الأمور ستبقى على ما هي عليه مستقبلاً. ويعكس هذا النمط من السيناريوهات نموذجاً أكثر من كونه أداة للتنبؤ . وينتقد البعض هذا المشهد على أساس أنه يعتبر الاستقرار أو استمرار الأوضاع على ما هي عليه قيمة في حد ذاتها ، مع أن الواقع يؤكد على أن الأشياء لا يمكن أن تظل دائماً ثابتة. كما يتجاهل هذا السيناريو التغيرات الرئيسية للسياسات والممارسات ، إلا إذا كانت ذات علاقة مباشرة وواضحة بموضوع الدراسة أو يُتوقع أن تكون كذلك ، إلى جانب تجاهله لردود الأفعال تجاه أية ظروف بيئية جديدة مواكبة للعملية البحثية .

2- سيناريو أو مشهد تغيير وعدم بقاء الأوضاع على ما هي عليه في المستقبل ، حيث إن أنصاره يؤكدون على أن سمة التغيير والديناميكية ليست حكراً على الماضي والحاضر ، ولكنها تمتد لتشمل المستقبل أيضاً. فعلى العكس من السيناريو الأول ، يلاحظ أن هذا المشهد يؤكد على أن المؤسسات والنظم المختلفة التي تديرها قيادات تتسم بوجود حد أدنى من العقلانية يُتوقع أن تتعامل وتتفاعل مع أية مشاكل ستواجهها في المستقبل حتى يمكنها السيطرة على الأمور. وبينما يتسم السيناريو الأول بأنه محافظ من حيث افتراضه بأن المستقبل سيكون امتداداً للحاضر ، يلاحظ أن هذا السيناريو يتسم بأنه غير محافظ ، لأنه يفترض ويؤكد على حدوث تغيرات وكيفية التعامل مع مثل هذه التغيرات متى حدثت .

ولا يعني أن وقوع العديد من المفاجآت والتغييرات في المستقبل أن على الباحث أن يدرسها ويحللها بنفس العمق ، حيث إن بعض التغييرات تعتبر أهم من البعض الآخر. لكن اختيار الباحث لبعض المفاجآت أو التغييرات دون الآخر يجب أن يستند على منهجية علمية تجنبه الوقوع في الخطأ ، وهذه صعوبة تواجه الباحثين الذين يطبقون هذا السيناريو .

مستقبل الاتحاد الإفريقي :

إن حداثة علم المستقبل وصعوبة التنبؤ في إطار العلوم الاجتماعية ، يجعلان مهمة التنبؤ بمستقبل الاتحاد الإفريقي مهمة عسيرة ، لا سيما وأن الاتحاد الإفريقي لم يتجاوز بعد عقداً من الزمان. لكن يمكن القول بأن معظم شروط التنبؤ على المستوى النظري متوفرة ، حيث يمكن التنبؤ بمستقبل الاتحاد الإفريقي من خلال مقولات نظرية النظم ونظرية اتخاذ القرارات اللذين تمَّ استخدامهما كإطار نظري لهذه الدراسة .

إن التعامل مع الاتحاد الإفريقي كنظام له مدخلات ومخرجات ، لا يمكننا فقط من وصف وتحليل الاتحاد الإفريقي ، ولكنه يمكننا أيضاً من التنبؤ بمستقبل هذا الاتحاد [15] . فنظرية النُظم "System Theory" تجسد إذن الوسيلة المناسبة ، التي

الشكل: 1

سيناريوهات استشراف مستقبل الاتحاد الإفريقي

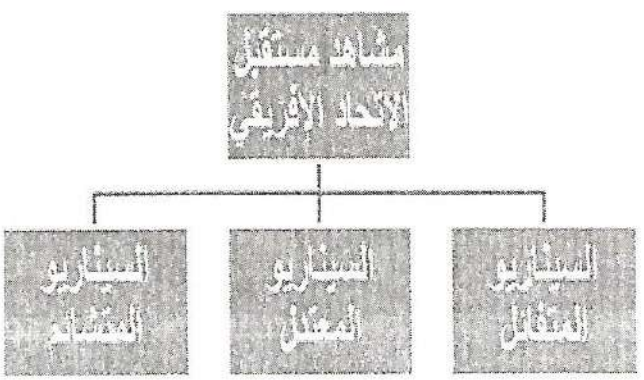

الشكل: 2

التحليل الرباعي للاتحاد الإفريقي

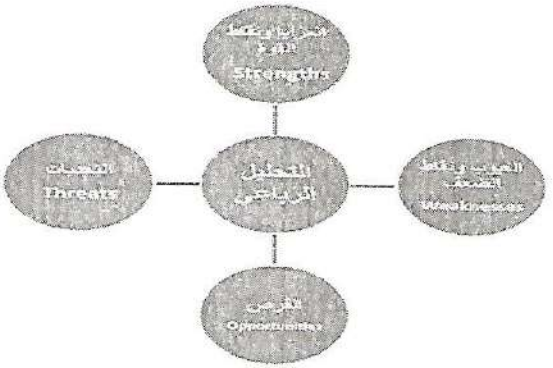

يمكن من خلالها التعرف على مستقبل الاتحاد الإفريقي ، حيث يمكن تحديد ثلاثة مشاهد مختلفة كما هو مبين في الشكل: 1 ، وهي مشاهد: متفائلة ، معتدلة ، أو متشائمة. أما الشكل: 2 ، فيشير بدورة التحليل الرباعي للاتحاد الإفريقي ، حيث يمكن الاستفادة من هذا التحليل في إطار المشاهد من حيث التركيز على الإيجابيات أو السلبيات ، أو الفرص والتحديات.

التحليل الرباعي للاتحاد الإفريقي:

إن محور التركيز في إطار هذا المحور سينصب على وصف وتحليل الاتحاد الإفريقي من خلال أربعة أبعاد متعارف عليها في إطار أدبيات الدراسات المستقبلية ، وهي:

1. إيجابيات الاتحاد الإفريقي.
2. سلبيات الاتحاد الإفريقي.
3. فرص نجاح الاتحاد الإفريقي.
4. تحديات الاتحاد الإفريقي.

ويشير الإطار : 1 عموما إلى أبرز هذه الأبعاد الأربعة المشار إليها في الشكل : 2 .

الإطار: 1

نقاط القوة والضعف في إطار الاتحاد الإفريقي

ر.م	نقاط القوة	نقاط الضعف
-1	توفر الإرادة السياسية.	- الاعتماد على الغرب.
-2	التاريخ المشترك.	- انتشار الحروب الأهلية.
-3	الموقع الجيو سياسي لأفريقيا.	- الصراعات الإيديولوجية.
-4	القيم المشتركة والمعايير الأخلاقية.	- الحروب الإفريقية - الإفريقية.
-5	غنى القارة بمواردها المختلفة.	- ضعف الاقتصاديات الإفريقية.
-6	التواصل الحضاري.	- تدني مستويات الدخل.
-7	الإصرار على تحقيق التنمية.	- تدني مستويات التعليم.
-8	قدرة الاتحاد الإفريقي على التكيف.	- انتشار الأمراض: الإيدز.
-9	الثقل النسبي لعدد دول القارة.	- التدخل الأجنبي في القارة.
-10	إفريقيا كبيئة لجذب الاستثمار.	- ضعف مؤسسات الاتحاد الإفريقي.

الإطار: 2

الفرص المتاحة والتحديات في إطار الاتحاد الإفريقي

ر.م	الفرص المتاحة	التحديات
-1	تفعيل وتطوير مؤسسات الاتحاد الإفريقي.	- تحديات سياسية: التنمية السياسية والحد من التدخل الخارجي.
-2	تفعيل وتطوير آليات فض الخلافات بالطرق السلمية.	- تحديات اقتصادية: المنافسة والتكامل.
-3	التحول الديمقراطي والديمقراطية.	- تحديات اجتماعية: فقر الدخل.
-4	الاستخدام الأمثل للموارد الإفريقية المتاحة.	- تحديات ثقافية: الأنجلوفونية والفرنكوفونية والعربية.

-5	تطوير القدرة التنافسية.	-تحديات صحية: الأمراض.
-6	نجاح التكامل الجهوي.	-تحديات تقنية: نقل وتطوير التقنية.
-7	تحقيق التكامل الاقتصادي: اتحاد اقتصادي إفريقي.	-تحديات لوجستية: تطوير البنية التحتية.
-8	تحقيق التكامل المالي: اتحاد نقدي.	-تحديات قانونية: تطوير القانونين.
-9	استقطاب العقول الإفريقية المهاجرة.	-تحديات قطرية: البناء من الداخل.
-10	تحقيق التنمية البشرية.	-تحديات إقليمية: الاستقرار.

السيناريو المتفائل: الوحدة التدريجية [16]:

يتسم هذا المشهد بالتفاؤل ، حيث إنه ينطلق من فرضية أن الأوضاع الراهنة لن تبقى على ما هي عليه ، وبالتالي فإن إمكانية تحسنها في المستقبل تبقى احتمالا واردا. وإذا كان السيناريو المتشائم يركز على السلبيات والتحديات التي قد ينتج عنها مفاجآت ، فإن السيناريو المتفائل يركز بدوره على الإيجابيات وإمكانيات فرص النجاح ، والتغلب على التحديات. لكن التفاؤل بالنسبة لأصحاب هذا المشهد لا يعني تحقق الوحدة الإفريقية دفعة واحدة ، نظرا لأن القضايا المصيرية كالوحدة تحتاج إلى وقت كافٍ حتى تتحول من مجرد طموح إلى واقع ملموس [17] .

ويغلب أصحاب هذا السيناريو عموما الإيجابيات على السلبيات ، وبالتالي يمكن القول إن ايجابيات الاتحاد الإفريقي تفوق سلبياته. كما أن الاتحاد الإفريقي قادر ، وفق هذا المنظور المتفائل ، على استغلال الفرص المتاحة أفضل استغلال ممكن من ناحية ، والتغلب في المدى الطويل على كل ، أو على الأقل ، معظم التحديات التي تواجه القارة الإفريقية من ناحية أخرى (انظر الإطارين رقم 1 ، 2) .

وإذا كان هذا المشهد يعكس الجانب التفاؤلي ، عليه فإنه يفترض بأن كل أهداف ومبادئ الاتحاد الإفريقي ستتحقق وفقاً لما هو متوقع ومتفق عليه بين الدول الأفريقية. فوفقاً لهذا المشهد المتفائل ، ستتمكن الدول الأفريقية من تحقيق الوحدة الكاملة في الوقت

المناسب ، ولكن بعد أن يتم القضاء على الحروب الأهلية ، وأمراض القارة ، والفقر ، وكل مشاكل التخلف. كما يعكس هذا المشهد جانباً تفاؤلياً بالنسبة للوحدة الاقتصادية والمالية ، حيث يُتوقع أن يتحقق التكامل الاقتصادي والمالي.

باختصار ، إن السيناريو الأول لاستشراف مستقبل الاتحاد الإفريقي يتسم بالتفاؤل من ناحية ، ويحظى بالتأييد من ناحية أخرى. فالاحتمالات التي يُتوقع حدوثها وفق هذا المشهد ، وإن كانت تبدو مثالية في الوقت الحاضر ، إلا أن احتمال حدوثها في المستقبل سيحقق المصلحة المشتركة للدول والشعوب الإفريقية التي ستستفيد أكثر من تحقق أهداف هذا الميثاق ، سواء أكانت سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية. فأهداف ميثاق الاتحاد الإفريقي ستتحقق طالما توجد الإرادة السياسية لذلك ، ولكن ذلك سيتوقف على الخطوات والإنجازات التي ستتحقق على أرض الواقع في الأمد الطويل. فالمشهد المتفائل يتسم عموما بالطابع المحافظ من حيث تأكيده على عملية التغيير التدريجية ، وبالطابع المتفائل من حيث تصميمه للتحول للأفضل .

السيناريو المعتدل : عدم تحقق الوحدة :

ينطلق هذا المشهد من فرضية أن المستقبل يعتبر امتداداً للحاضر ، وبالتالي يتوقع عموما أن تستمر الأوضاع الإفريقية في المستقبل على ما هي عليه من تشرذم وتخلف وفقر وحروب. لكن قيام الاتحاد الإفريقي وفق هذا المشهد ، سيستمر في المحافظة على تحقيق الحد الأدنى من التوازن بحيث يتم الاستمرار في تحقيق بعض الأهداف على حساب البعض الآخر. وطالما أن الاعتدال يعتبر السمة المميزة لهذا المشهد ، عليه فإن الاتحاد الإفريقي قد يكون قادرا على تفادي بعض السلبيات ، واستغلال بعض الفرص ، والتغلب على بعض التحديات. إذن ، يمكن القول بإن واقعية هذا السيناريو تشير إلى عدم قدرة الاتحاد الإفريقي على تحقيق الوحدة ما لم يتم التغلب على معظم السلبيات ، والاستفادة القصوى من الفرص المتاحة ، ومواجهة جل التحديات.

ويتسم المشهد المعتدل أو سيناريو استمرار الأوضاع القائمة على ما هي عليه ، إلى حد كبير ، بالمحافظة نظرا لاستبعاده للتغيرات الجذرية طالما أنه لا توجد حاجة

لذلك. وتتلخص الأسس التي يقوم عليها هذا المشهد في أن عملية التغيير تعتبر شاقة ومطولة حتى في حالة توفر الإرادة السياسية والإمكانيات المطلوبة ، نظرا لصعوبة القبول بكل ما هو جديد وغير مألوف. إذن ، فإن أنصار سيناريو استمرار الأوضاع على ما هي عليه يؤكدون على بقاء الأوضاع القائمة "Status Quo" تجنبا لأية مفاجآت غير متوقعة .

إن هدف ميثاق الاتحاد الإفريقي ، والمتمثل في تحقيق الوحدة الكاملة ، سيستمر في مواجهة العديد من الصعاب التي قد تُعيقه من تحقيق أهدافه المنشودة ، ومن أمثلة ذلك: التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدول الإفريقية ، استمرار الحروب الأهلية ، والحروب الإفريقية - الإفريقية ، والفقر ، والتخلف ، وتفاقم مشاكل الديون الخارجية ، والإيدز.

وسيستمر اختلاف وجهات النظر بين أعضاء الاتحاد الإفريقي حول مشروع الوحدة الإفريقية ، حيث إن وجهات النظر ستظل متباينة ، لا سيما بين الدول المحافظة من جهة والدول الثورية من جهة أخرى. باختصار ، إن هذا السيناريو يُجسد وجود حد معتدل من التنسيق والتعاون الإفريقي- الإفريقي ، وبالتالي فإن عملية الوحدة المنشودة وفق هذا المشهد تتكيف ببطء مع الظروف البيئية المحيطة.

إن استشراف مستقبل الاتحاد الإفريقي وفق هذا السيناريو يعكس إذن الطابع المحافظ ، حيث إن المشاكل المقترنة بتحقيق الوحدة ترتبط بوجود العديد من نقاط الضعف ، والتحديات واحتمالات عدم فرص النجاح. عليه ، طالما أن الوحدة ترتبط بوجود مشاكل وتحديات سيترتب عنها بروز العديد من المفاجآت المتوقعة وغير المتوقعة ، عليه فإن أنصار هذا السيناريو يؤكدون على عدم ضرورة إتمام عملية الوحدة طالما اقترن ذلك بوجود مفاجآت .

السيناريو المتشائم : حتمية الوحدة الإفريقية :

يتسم هذا المشد بالتشاؤم ، حيث إنه ينطلق من فرضية أن تردى الأوضاع أكثر مما هي عليه يتطلب المجازفة وتقبل التغيير طالما أن ذلك قد يقود للأحسن. وإذا كان السيناريو الأول يركز على السلبيات والتحديات التي قد ينتج عنها مفاجآت ، وأن

السيناريو الثاني يركز بدوره على التريث وعدم التسرع في عملية الانضمام للمنظمة ، فإن هذا المشهد يؤكد على ضرورة الإسراع في عملية الانضمام حتى لا تزداد الأمور سوءاً .

إن استمرار عدم تلبية الاتحاد الإفريقي للحد الأدنى من مطالب أعضائه ، وبروز معارضة من قِبل البعض الآخر سيؤدي ، وفقاً لمقولات نظرية النُظم ، إلى تحقيق حالة عدم التوازن "Disequilibrium". وليست المشكلة في بروز حالة عدم التوازن ، بقدر ما هي متعلقة بتجاهل المطالب والمعارضة وعدم تمشي الموارد البشرية والمادية والتقنية مع الأهداف المنشودة للاتحاد الإفريقي في المدى الطويل ، حيث يلاحظ أن ديمومة حالة عدم التوازن ستؤدي حتماً إلى انهيار هذا الاتحاد طالما أنه لم يُلبِّ الحد الأدنى من المطالب المنادية بالوحدة. إذن ، فهذا المشهد يعكس إذن بُعداً تشاؤمياً تجاه استمرار الأوضاع القائمة ، ويؤكد على أن الخلاص النهائي من مشاكل القارة الإفريقية لا يتم إلا عن طريق الوحدة الشاملة .

فالتنسيق والتعاون الإفريقي-الإفريقي سيكون أقل حتى من الحد الأدنى المطلوب لمواجهة تحديات النظام العالمي الجديد والعولمة ، نظراً لتعثر جهود الوحدة خلال السنوات الأولى من عمر الاتحاد الإفريقي نتيجة لاعتبارات مختلفة تعكس الظروف البيئية المحيطة. وسيقل الحماس تجاه الاتحاد الإفريقي ليس فقط من قِبل الدول الإفريقية ، بل إن تأييد الرأي العام للاتحاد الإفريقي يُتوقع أن يتدنى بشكل ملحوظ طالما لم يتحول الاتحاد إلى نواة لحكومة فيدرالية في إطار الولايات المتحدة الإفريقية .

وانطلاقاً من مقولات نظرية صنع القرارات ، التي تمَّ تطبيقها مع نظرية النُظم لتفادي إشكالية عدم القدرة على وصف وتحليل الاتحاد الإفريقي على المستوى الجزئي "Micro-Level" ، فإن صانعي القرار في الدول الإفريقية يتعاملون وسيتعاملون مع قضية الوحدة من منطلق تطبيق مبدأ العقلانية "Rationality" ، متمثلاً في السعي إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من المنافع أو المزايا وتجنب أكبر قدر ممكن من الخسائر .

إذن ، فعدم قيام الوحدة الإفريقية وفق توقعات هذا المشهد تعكس عملية تراكمية مفادها : إن عجز الاتحاد الإفريقي على تلبية المطالب من ناحية ، وزيادة المعارضة للتشرذم والتخلف الذي تعيشه أفريقيا من ناحية أخرى ، سينتج عنه بروز حالة

عدم توازن واستقرار في المدى القصير ، وحالة فشل أو انهيار تام في المدى الطويل ، وبالتالي فإن الحل يكمن في عملية التعجيل بقيام الولايات المتحدة الإفريقية .

خاتمة الدراسة :

لقد مكّن علم المستقبل منذ بروزه في أوروبا بشكل عام ، والولايات المتحدة بشكل خاص ، الباحثين في المجالات والفروع المختلفة للعلوم الاجتماعية من الاهتمام بشكل ملحوظ بالدراسات المستقبلية لعدة اعتبارات ، منها زيادة التركيز على التخطيط طويل الأجل وارتباط المستقبل بالواقع السياسي. لكن حداثة علم المستقبل وتعقد الظواهر والمتغيرات في إطار العلوم الاجتماعية يجعل عملية التنبؤ ليست بالأمر الهين ، لأن المستقبل يعتبر علماً له نظرياته ، مداخله ، مناهجه ، وتقنياته المحددة التي يمكن من خلالها التعامل مع المستقبل من منظور الباحث أو العالم وليس منظور المنجِّم . ومن أبرز شروط التنبؤ الكامل بالمستقبل على المستوى النظري ما يرتبط بضرورة تبني الباحث لنظرية أو نظريات مُتعارف عليها في إطار أدبيات موضوع الاهتمام والدراسة ، ومن أمثلة ذلك نظريتا النُظم واتخاذ القرارات اللتان تمَّ استخدامهما في إطار هذه الدراسة .

وقد تمت عملية استشراف مستقبل الاتحاد الإفريقي في إطار ثلاثة سيناريوهات محتملة تتفاوت في درجة تشاؤمها وتفاؤلها. فالاتحاد الإفريقي يُحتمل أن يستمر على ما هو عليه غير قادر على تلبية معظم مطالب أعضائه من الدول الإفريقية ، أو أنه يُتوقع أن يحقق توازناً كاملاً وتلبي بالتالي كل المطالب مع غياب كلي للمعارضة ، أو أنه سيتلاشى نتيجة لعدم قدرته على التكيف مع الظروف البيئية المحيطة به في المدى الطويل. ولا يعني فصل المشاهد الثلاثة عن بعضها البعض ، إن مستقبل الاتحاد الإفريقي سيعكس أحد السيناريوهات دون الآخر ، حيث إن هذا المستقبل قد يجمع مثلاً بين مقولات أكثر من مشهد واحد كقولنا باحتمال تحقق تكامل اقتصادي - مالي كامل (اتحاد اقتصادي ونقدي مثلا) والتخلي في نفس الوقت عن الوحدة السياسية لاعتبارات مصلحية قد تقرها الدول الإفريقية مستقبلاً .

الهوامش:

(1)- هناك العديد من الدراسات المستقبلية باللغة العربية ، حيث يلاحظ أن بعض مراكز البحوث تولي هذا الموضوع اهتماماً ملحوظا ، ومن أمثلة ذلك منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، ومركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

(2)- انظر في هذا الشأن على سبيل المثال لا الحصر:

Brita Schwartz, et. al., Methods in Future Studies: Problems and Applications (Boulder: Westview Press, 1982); and Herman Kahn, "On Studying the Future," In Strategies of Inquiry, edited by Fred I. Greenstein and Nelson W. Polsby (Reading, Mass: Addison - Wesley Publishing Company, 1975), pp. 405-442.

(3)- ماجد فخري "تطور فكرة المستقبل في العصور القديمة والحديثة" الفكر العربي (10 مارس- أبريل 1979): 10-25؛ ومحمود زايد "علم المستقبل في وقتنا الحاضر" الفكر العربي (10 مارس - أبريل 1979):26-40.

(4) Herman Kahn, "On Studying the Future," op. cit., pp. 405-410.

(5) F.L .Polak, The Image of the Future (Amsterdam: Elsevier Scientific Publishing Company, 1973).

(6) Ibid.

(7) Harold D. Lasswell, "The Promise of World Order Modeling Movement" World Politics 29,3 (April 1977): 425-437.

(8) Philippe Braillard and Pierre de Sanarelens " The International System: Limits to Forecasting" Futures 12,6 (Dec. 1980): 453-404.

(9) محمود زايد ، "علم المستقبل في وقتنا الحاضر" ، مرجع سبق ذكره ، ص. 38.

(10) انظر في هذا الشأن للمؤلف:

- مصطفى عبد الله أبو القاسم خشيم ، مبادئ علم الإدارة العامة ، (بنغازي: مركز بحوث العلوم الاقتصادية ، 1993) ، ص. 124.

(11) يمكن التنبؤ بشكل الحرب المستقبلية استناداً إلى البعد التاريخي . انظر في هذا الشأن:

L.F. Richardson, "Frequency of Occurrence of Wars and other Total Quarrels" Nature 148 (1941): 37-59; Arms and Insecurity (Pittsburgh: Boxwood, 1960); And Q. Wright, A Study of War (Chicago: University of Chicago Press, 1965).

(12) تعكس نظريات أو نماذج علم السياسة التي يمكن عن طريقها استشراف مستقبل الحروب ، علاقة علم السياسة بفروع العلوم الاجتماعية الأخرى ، انظر في ذلك مثلاً:

P.K White, Nobody Wanted War (Garden City, NY: Doubleday, 1968); G. Blainey. The Cause of War (New York: Free Press, 1973); N. Choucri and R. North, Nations in Conflict (San Francisco: W.H. Freeman, 1975); and J.G. Stoessinger, Why Nations Go to War (New York: St. Martin's Press, 1978).

(13) erman Kahn, "On Studying the Future," op. cit., pp. 417-419.

(14) لقد صدر العدد العاشر من مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية ، الفكر الاستراتيجي (10 ، 1 مارس - أبريل 1979) تحت عنوان "المستقبلية علم العلوم" .

(15) انظر في هذا الشأن للمؤلف: مصطفى عبد الله خشيم ، مناهج وأساليب البحث السياسي ، مرجع سابق ذكره ، ص. 53.

(16) ينص ميثاق الاتحاد الإفريقي في المادة الثالثة على ضرورة تحقيق الوحدة الإفريقية، حيث إنه يؤكد مثلا على التالي:

3/أ. تحقيق أعلى مستويات الوحدة والتلاحم بين الشعوب والدول الإفريقية.

3/ج.التعجيل بالتكامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي للقارة الإفريقية ككل.

3/ل. تنسيق السياسات بين التنظيمات الاقتصادية الجهوية بقصد تحقيق أهداف الاتحاد الإفريقي تدريجيا .

(17) في دراسة للمؤلف عن تحليل مضمون ميثاق الاتحاد الإفريقي، لوحظ أن تكرار كلمة الوحدة ومشتقاتها مثل، التضامن ، التلاحم، التعاون، الهوية المشتركة ، التكامل ، الشراكة ، والاتحاد، يصل في إطار الديباجة إلى 22% . ولمعرفة المزيد انظر للمؤلف :

مصطفى عبد الله أبو القاسم خشيم، الاتحاد الإفريقي: المضمون والأبعاد" مجلة دراسات" 3، 8 (الربيع 2002):10-25.